لها بنت تساعدها وتقوم برعايتها وتكون أنيس لها، فتكون هناك حاجة ماسة في هذه الحالات لعملية اختيار جنس الجنين[142] .

يرد عليه : إن المسؤول عن تحديد جنس الجنين بعد المشيئة الإلهية علمياً هو الرجل كما عرفنا ولا يد للمرأة في ذلك لكي تلُام، كما أن رغبة الأم بأن تكون ابنتها جليسة لها هذا أيضاً غير منطقي؛ لأنها قد ترزق بزوج وتنتقل للعيش معه .

4- أصل الإباحة : معنى القاعدة هو أن كل شيء من الموضوعات الخارجية كان مشتبها بين الحلال والحرام يحمل على الحلال[143]،

وبما إن عملية اختيار جنس الجنين ترفع الحرج عن ذويه ولم يرد فيها نص صريح على التحريم فتبقى على الأصل وهو إباحة العمل بها [144] .

يرد عليه : إن عملية اختيار جنس الجنين بواسطة الطرق الطبية قد تفضي إلى محرم من قبيل كشف العورات والنظر واللمس المحرمات، وهذه الأمور ثابت حرمتها نقلاً وعقلاً .

5- العقل : أ- إن عملية اختيار جنس الجنين تُعد من باب السعي في الحصول على مطلب مشروع من باب بذل الأسباب وإتخاذ الوسائل، والنتيجة بيد رب الأسباب جل جلالة، والأخذ بالأسباب أمر جائز[145] .

يرد عليه : يجب التوجه إلى الوسائل الشرعية لتحقيق الرزق بنوع معين من الأبناء وهي الدعاء كما فعل الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) [146].

ب- إن الشريعة الإسلامية ترحب بكل جديد مادام يحقق سعادة الإنسانية ولا يحقق لها الشقاء، واختيار جنس الجنين يحقق السعادة لبعض الأسر في تحقيق أمنيتها في إنجاب ذكر أو أنثى حسب رغبتها، فلماذا نحرم الناس من ثمار العلم [147].

6- **سيرة المتشرعة** : إن قيام المسلمين بإستخدام وسائل اختيار جنس الجنين بتعليم وإمضاء من قبل الأئمة (عليه السلام) فيه إجازة مانحة ودلالة واضحة على مشروعيته [148] .

يرد عليه : إمضاء وأجازة الأئمة (عليهم السلام) متعلق بالوسائل الطبيعية كما في الدعاء وأسبقية إنزال الرجل عن المرأة والعكس، وبالطرق الطبية التي قد تستلزم بعض المحرمات .

الترجيح : من خلال ما تقدم من طرح أدلة الفريقين ومناقشتها، فأني أميل إلى ترجيح جواز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبية ما لم تستلزم محرم آخر والله أعلم، وهذا لقوة أدلة القائلين بذلك، ولما في الأمر من نفي للعسر والحرج والتيسير على العباد، قال تعالى : Φ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ Φ[149] وقوله تعالى: Φوَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ Φ[150] .

ثانياً : حكم اختيار جنس الجنين لأغراض وقائية .

أما حكم تحديد جنس الجنين لأغراض وقائية من الأمراض الوراثية تستهدف جنس معين من الأجنة كأن يستهدف الإناث دون الذكور أوالعكس التي قد تصل أحياناً إلى موت هذا النوع من جنس المواليد، فهو جائز من باب أولى ولا سيما لدى العائلات التي لديها تجارب مماثلة ويُسدل على هذا الجواز جميع الأدلة التي تقول بجواز التداوي وحفظ النفس وعدم إلقائها في المهالك، وحتى ان استلزمت هذه العملية الى بعض المحرمات فيجوز الأقدام عليها من باب الضرورة قال تعالى : Φ قَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ Φ[151]،

وقول الإمام الصادق (عليه السلام) (ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه) [152]، وكذلك قواعد الشرع مثل قاعدة (لا ضرر)[153]، وعقلاً الوسائل تأخذ حكم الغايات، فإذا كانت الغاية هي سلامة الإنسان فإن الوسيلة المحققة لذلك مشروعة [154].

الضوابط الشرعية لاختيار جنس الجنين :

هناك ضوابط اعتمدها الفقهاء لتكون ملازمة لعملية تحديد جنس الجنين وهي:

1- ان لا يؤدي إلى اختلال التوازن العام الموجود بين الجنسين، أي يجري في أضيق الحدود على مستوى الأفراد ولا يجوز اعتماده على مستوى الأمة فإنه سيترتب عليه مفاسد كما لا يخفى[155] .

2- أن يلجأ إلى عملية تحديد الجنس عند الضرورة أو الحرج، كأن تكون هذه الأسرة تحمل أمراض وراثية خطيرة متعلقة بجنس الجنين، أوعدم الإقدام عليها يؤدي إلى تفكك الأسرة من حيث المضايقة النفسية أو انفصال الزوجين مما يسبب عسر وحرج لهما [156].

3- إستخدام كافة التدابير الاحترازية والحيطة والحذر في خطوات إجراء عملية تحديد جنس الجنين؛ وهذا للمحافظة على ماء الرجل من الاختلاط بغيرة لئلا يفضي ذلك إلى اختلاط الأنساب الذي هو من أشد المحرمات في الشريعة الإسلامية [157].

4- أن يلجأ إلى الطبيب المسلم الثقة إلا مع تعذر ذلك؛ للتأكد من مسألة حفظ العورات وصيانتها من الهتك، وهذا من خلال قصر الكشف على موضع الحاجة قدراً وزماناً [158].

5- أن يعتقد المُقبل على هذه العملية أن هذه الوسيلة ما هي إلا أسباب والنتيجة النهائية بيد الله عز وجل مسبب الأسباب [159].

6- الأمن من حصول الضرر بالجنين، فإذا أثبتت الدراسات والتجارب الطبية إن هذه العملية تؤدي إلى الإضرار بالجنين عندها يمنع من الإقبال عليها [160].

الخاتمة

بفضل من الله وتوفيقه وببركة نبينا محمد وآلِ بيته الأطهار(صلى الله عليه وآله وسلم) ها قد وصلنا إلى نهاية بحثنا المتواضع **(أحكام اختيار جنس الجنين في الفقه الإسلامي)** هذا وكلي أمل بأن أكون معلى وفقاً في تقديم بحثي والتعبير عنه، فإن أصبت الحق فمن الله عز وجل وإن أخطأت فمن نفسي .

وقد توصل البحث إلى نتائج عدة :

1- تحديد جنس الجنين هو ما يقوم به الزوجان من الأعمال والإجراءات الطبيعية بنفسيهما أو الطبية من خلال مختص بهدف تحديد ذكورة الجنين أوأنوثته .

2- إن المسؤول عن تحديد جنس الجنين بعد المشيئة الإلهية هو الرجل؛ لأن الحيوانات المنوية على قسمين ذكرية وأنثوية أيهما سيلقح البيضة يحدد جنس المولود .

3- تقسم طرق اختيار جنس الجنين إلى قسمين، طبيعية مثل تناول غذاء معين، واستخدام الغسول المهبلي، وتوقيت الجماع قبل أوبعد فترة الإباضة وغيرها .

وطبية مثل طريقة تحديد جنس الجنين قبل وبعد التلقيح خرج الرحم عن طريق التلقيح الصناعي داخلياً أو خارجياً، وطريقة الإجهاض المنتخب بعد نفخ الروح وهي محرمة بإجماع فقهاء الإسلام .

4- يجوز تحديد جنس الجنين على مستوى الأفراد للحرج والضرورة، كما في الوقاية من الأمراض الوراثية الخطرة، والحفاظ على كيان الأسرة ولحمتها، ولا يجوز ذلك على مستوى الأمة .

5- يكون الجواز مقيد بشروط لا بد من مراعاتها، ومع عدم مراعاتها يتغير الحكم من الجواز إلى الحرمة .

الهوامش :

([1]) سورة النحل : 58 .

([2]) سورة التكوير : 8-9 .

([3]) سورة البقرة : 30 .

([4]) سورة النحل : 89

([5])مختار الصحاح : زين الدين الرازي,(ت-666هـ) تحقيق, يوسف الشيخ محمد, المكتبة العصرية,بيروت, الطبعة: الخامسة، 1420هـ ص99, معجم ألفاظ الفقه الجعفري : أحمد فتح الله ,الطبعة الأولى , إيران, 1415هـ, ص34 .

([6]) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد التهانوي,(ت-بعد 1158هـ) مكتبة لبنان,1416هـ, ط1, ج1,ص50 .

([7]) مقاييس اللغة : احمد بن فارس,(ت-395هـ) تحقيق: عبد السلام هارون,مكتبة الفكر , 1399هـ,ج1ص486 .

([8]) لسان العرب : جمال الدين ابن منظور (ت- 711هـ), دار صادر , بيروت,1414هـ, ج13 , ص92 .

([9]) اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه الإسلامي : د.محمد إبراهيم النادي ,بحث منشور على شبكة الانترنت الموقع https://platform.almanhal.com ص87 . أثر المفهوم العلمي على التوسع القانوني للجنين , مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية : د.سلام عبد الزهرة الفتلاوي، والباحث مشتاق عبدالحي عبدالحسين.214 .

([10]) المقنعة : الشيخ المفيد(ت-413هـ), مؤسسة النشر الإسلامي, الطبعة الثانية, قم 1410هـ, ج1 , ص763 .

([11]) الخلاف: الشيخ الطوسي,(ت-460هـ) مؤسسة النشر الإسلامي, قم, 1407هـ, ج5 , ص292 .

([12]) الروضة البهية:زين الدين العاملي (الشهيد الثاني)(ت-966هـ)مؤسسة النشرالإسلامي قم,1412هـ ,ج2, ص444

([13]) أثر المفهوم العلمي على التوسع القانوني للجنين: د.سلام عبد الزهرة الفتلاوي، والباحث مشتاق عبد الحي عبد الحسين, , مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية, العدد الثاني, المجلد التاسعة , 2017 .

([14]) المبسوط : محمد بن احمد السرخسي (ت -483هـ), دار المعرفة بيروت, 1414هـ, ج6, ص26 .

([15]) رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين عابدين(ت- 1252هـ), دار الفكر بيروت، 1412هـ,ج1, ص326

([16]) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج :محمد الرملي,(ت-1004هـ) دار الكتب العلمية 1424هـ, ج7 ,ص 380 .

([17]) كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور البهوتي(1051هـ), دار الفكر - بيروت , 1402هـ , ج5, ص413 .

([18]) المدونة الكبرى :مالك بن أنس،(ت- 179هـ) دار الكتب العلمية، لبنان طبعة: الأولى، 1415هـ, ج ٦ ص99 ٣ .

([19]) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:محمد بن أحمد الدسوقي, دار الفكر الطبعة, بدون طبعة ,267 .

([20]) ينظر, قضية إجهاض جنين الاغتصاب : توفيق خير الدين,دار شتات, مصر, 2011 ص44 .

([21]) ينظر,البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, دار ابن الجوزي,1429هـ, ص495 .

([22]) رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين: خالد المصلح,بحث منشورعلى الموقع https://islamhouse.com ص6 .

([23]) أحكام اختيار جنس الجنين:محمد الفهيدي,رسالة ماجستير,جامعة الإمام محمد بن سعود,1430هـ, ص15 .

([24]) إختيار جنس الجنين : خالد بن زيد الوذيناني, من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني, الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود ,1431هـ, ص1669 .

([25]) ينظر, إختيار جنس الجنين : خالد بن زيد الوذيناني , ص1671.

([26]) اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلقه بين الطب والفقه: عباس احمد الباز,بحث ضمن كتاب دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة, الناشر:دار النفائس, 1421هـ,الطبعة الأولى الأردن, ص851 .

([27]) ينظر, حكم تحديد جنس الجنين : د. ناصر الميمان, من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني, الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود ,1431هـ, ص1617 ,

([28]) طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي بين الطب والأديان: غسان جعفر,الناشر: دار رشاد برس,بيروت ,1430هـ, ص364. , حكم تحديد جنس الجنين : د. ناصر الميمان, ص1617 , إختيار جنس الجنين : خالد بن زيد الوذيناني , ص1672 , تحديد جنس الجنين : هيلة اليابس, من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني, الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود ,1431هـ, 1729 .

([29]) ينظر, طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي :المصدر السابق , ص364.

([30]) سورة غافر : 60 .

([31]) الكافي :الشيخ الكيني (ت- ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية, طهران, ١٣٦٥هـ,الطبعة الرابعة, ج2 , ص466 .

([32]) يُطلق مصطلح الإباضة على العملية التي تحدث مرة واحدة كل دورة حيض عندما يؤدي تغير الهرمونات إلى تحفيز أحد المبيضين لإطلاق بويضة. ولا يمكن حدوث الحمل إلا بتخصيب حيوان منوي لإحدى البويضات. وتحدث الإباضة عادة قبل مدة تتراوح بين 12 و16 يومًا من موعد بداية الدورة التالية.

([33]) تحديد جنس الجنين : هيلة اليابس , 1733 .

([34]) هو احد المستحضرات الطبية التي تعمل على تنظيف و تطهير منطقة المهبل, فوائد ومخاطر الغسول المهبلي وطريقة استخدامه : بحث على شبكة الإنترنت https://www.almrsal.com/post/543374 .

([35]) ينظر , اختيار جنس الجنين : د. خالد بن زيد الوذيناني , ص1672 , تحديد جنس الجنين , هيلة اليابس, ص1731 ,اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه , إبراهيم سعد النادي, ص99 .

([36]) ينظر, المرجع نفسه, ص99

([37]) تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس, ص1731, طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي, غسان جعفر, ص431 .

([38]) صحيح مسلم : مسلم بن حجاج(ت- 261هـ) الناشر: دار طيبة،1427هـ, ص154 , ح315 .

([39]) الموسوعة الطبية الفقهية:أحمد محمد كنعان, دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى1420هـ, ص308-309.

([40]) ينظر, تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس, ص1731.

([41]) ينظر, اختيار جنس الجنين : د. خالد الوذيناني , ص1674

([42]) ينظر, تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس 1740, حكم اختيار جنس الجنين, زياد العجيان,ص1798 الموسوعة الميسرة في فقه القضايا الطبية المعاصرة:مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرةص. 287.

([43]) ينظر, تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس ص,1740 .

([44]) حكم اختيار جنس الجنين قبل الحمل في الفقه الإسلامي : زياد بن عبد لمحسن العجيان , ص 1798 .

([45]) هو بروتين المصل المشتق من البقر يستخدم عادة كتركيز بروتين معياري في التجارب المخبرية.

([46]) الموسوعة الميسرة في فقه القضايا الطبية المعاصرة:مركز التميز البحثي, ص287.

([47]) إختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب, زياد طارق الجبوري , بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الأنبار ,ص244 , أحكام الهندسة الوراثية , سعد بن عبد العزيز الشيوخ , ص206, الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية :عوادي زبير,رسالة ماجستير كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر ص295 .

([48]) ينظر, معرفة جنس الجنين والتدخل لتحديدة : ندى محمد نعيم , يوسف عبد الرحيم بوبس, , ص211 .

([49]) ينظر,اختيار جنس الجنين: خالد الوذيناني, ص1675, طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي,غسان جعفر, ص365

([50]) ينظر, ندى محمد نعيم , يوسف عبد الرحيم بوبس: المرجع السابق, ص210 .

([51]) كيف تتعرف على جنس الجنين بدون سونار:أنوار صافي, بحث على شبكة الانترنت https://mawdoo3.com

([52]) حكم تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية, د. ناصر الميمان,ص1619 .

([53]) ينظر, ندى محمد نعيم , يوسف عبد الرحيم بوبس: المرجع السابق, ص212 -213.

([54]) ينظر,أحكام الهندسة الوراثية:سعد بن عبد العزيز الشيوخ,الناشر: كنور اشبيليا, الرياض,1428هـ, ص205, تحديد جنس الجنين : أيوب سعيد العطيف, من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني, الناشر:جامعة الإمام محمد بن سعود ,1431هـ ص1701.

([55]) ينظر, اختيار جنس الجنين : د. خالد بن زيد الوذيناني , ص 1669 .

([56]) ينظر,تحديد جنس الجنين,هيلة اليابس, ص1727,ندى محمد نعيم-يوسف بوبس: المرجع السابق , ص213 .

([57]) ينظر, خالد بن زيد الوذيناني : مصدر سابق , ص 1669.

([58]) ينظر, المرجع نفسه ,1670 .

([59]) السيد محمد تقي المدرسي : استفتاء موجه لسماحته 19/ ذي القعدة 1440هـ, تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس, ص1746, اختيار جنس الجنين : د. خالد بن زيد الوذيناني , ص 1677,رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين : د. خالد المصلح , ص23 .

([60]) سورة الصافات : 100- 101.

([61]) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ,مؤسسة الأعلمي, الطبعة الثانية , بيروت, 1393هـ, ج17, ص151 .

([62]) ينظر, حكم تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية, د. ناصر الميمان,ص1640.

([63]) صحيح مسلم : مسلم بن حجاج , كتاب الحيض , ص154, ح315 .

([64]) اختيار جنس الجنين : د. خالد بن زيد الوذيناني , ص 1679

([65]) ينظر, تحديد جنس الجنين, هيلة اليابس, ص 1744.

([66]) القواعد الشرعية في المسائل الطبية : وليد بن راشد السعيدان , بدون ناشر, ص2.

([67]) وسائل الشيعة : الحر العاملي, ج12, ص59 .

([68]) ينظر, البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص 447.

([69]) منهاج الصالحين : السيد السيستاني, ج1,ص511,فقه الأعذار الشرعية والمسائل الطبية : السيد الخوئي, ص167,جامع المسائل الشرعية : السيد صادق الشيرازي, ص511, ومنهاج الصالحين,الشيخ بشير النجفي ,ص598,الفتاوى الجديدة : ناصر مكارم الشيرازي,ج1,ص426.قرارات مجمع الفقه الإسلامي/ الدورة الثالثة ,الأردن 1407هـ قرار رقم 16- بشأن أطفال الأنابيب, وغيرها من المراجع ينظر, التلقيح الصناعي بين العلم والشريعة : سعيد كاظم العذاري ,المركز العالمي للدراسات الإسلامية , قم , الطبعة الأولى , 1429 ص80 وما بعدها.

([70]) الفتاوى المنتخبة : السيد كائم الحائري, ص518, منهاج الصالحين : السيد السيستاني, ج1,ص511, الفتاوى الجديدة:ناصر مكارم الشيرازي,ج1,ص426, المبسوط في فقه القضايا المعاصرة , علي القائيني,ج1,ص310, فقه الاستنساخ البشري: السيد محمد سعيد الحكيم,ص56 .

([71]) ينظر, المبسوط في فقه القضايا المعاصرة , علي القائيني ,ج2 ,ص11 , الفقه ومسائل طبية : محمد آصف المحسني ,ج1ص9,الفقه المعاصر : حسن الجواهري, ج2, 521, قرارات المجمع الفقه الإسلامي مع مقارنتها بآراء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية :تعليق محمد كاظم الموسوي,

([72]) مكارم الأخلاق الحسن بن الفضل الطبرسي, تحقيق: حسين الأعلمي, الناشر: مؤسسة الأعلمي, الطبعة الثانية ص347.

([73]) وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي , ج14 , ص33.

([74])ينظر, وسائل الإنجاب الصناعية دراسة فقهيه : السيد محمد رضا السيستاني: دار المؤرخ العربي , الطبعة الثانية , بيروت , 1428 هـ ,ص21,التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص80 .

([75]) سورة المؤمنين : 5-6 .

([76]) ينظر, اختيار جنس الجنين : د. خالد بن زيد الوذيناني , ص 1675 , طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي, غسان جعفر, ص365 .

([77]) الفقه للمغتربين : السيد السيستاني, دار البذرة ,الطبعة السادسة ,ص257, فقه الأعذار الشرعية والمسائل الطبية : السيد الخوئي, وتبعه الشيخ البزيزي , ص154,فقه الاستنساخ البشري : السيد محمد سعيد الحكيم , ص59, جامع المسائل الشرعية : السيد صادق الشيرازي, ص510, الفتاوى المنتخبة : السيد كاظم الحائري,ص515,الإحكام الطبية : الشيخ فاضل اللنكراني,ص102, التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص183, الفقه ومسائل طبية : محمد آصف المحسني ,ج1ص123, قرارات مجمع الفقه الإسلامي لدورة السادسة ,المملكة العربية السعودية , شعبان 1410هـ: الناشر منظمة المؤتمر الإسلامي, ص104, ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية , الكويت 1407 هـ, الناشر : المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية,ص757 وغيرهم من الفقهاء والباحثين .

([78]) سورة النجم :32 .

([79]) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي, ج19,ص43 .

([80]) ينظر, التخلص من الخلايا والأجنة التي بها تشوه وراثي : عبد الفتاح محمود إدريس, بحث منشور مجلة البحوث الفقهية المعاصرة , ص20

([81]) التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص183.

([82]) المؤمنين : 13 .

([83]) مجمع البيان في تفسير القران: الفضل بن الحسن الطبرسي: دار المرتضى بيروت الطبعة الأولى 1427 .,ج7, ص101 .

([84]) وسائل الشيعة : الحر العاملي , ج19 , ص15.

([85]) قاعدة لا ضرر ولا ضرار: السيد السيستاني, دار المؤرخ العربي, بيروت, الطبعة الأولى, 1414هـ, ص159.

([86]) ينظر, التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص181.

([87]) سورة البقرة : 173 .

([88]) ينظر, اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه , إبراهيم سعد النادي, ص124 .

([89]) البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص551-552 .

([90]) الإنجاب بالوسائل الصناعية : محمد رضا السيستاني, 267 .الفقه المعاصر:الجواهري, ج2, ص369, الأستاذ الدكتور بلاسم الزاملي :لقاء جمعني بسماحته 15/ 3 /2018, البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص553جمع آراءأهل السنة .

([91]) وسائل الشيعة : الحر العاملي , ج19 , ص238 .

([92]) ينظر, الإنجاب بالوسائل الصناعية : السيد محمد رضا السيستاني, 268 -269 .

([93]) وسائل الشيعة : الحر العاملي , ج19 , ص15.

([94]) الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري, ج2, ص369 .

([95]) الأستاذ الدكتور بلاسم الزاملي :تدريسي في جامعة الكوفة – كلية الفقه , لقاء جمعني بسماحته 15/ 3 /2018

([96]) البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص553 .

([97]) سورة المائدة : 6 .

([98]) ينظر, التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص181- 182.

([99]) ينظر, معرفة جنس الجنين والتدخل لتحديده : ندى محمد نعيم , يوسف عبد الرحيم بوبس, ص210 .

([100]) ينظر, المرجع نفسه, طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي, غسان جعفر, ص368, حكم تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية, د. ناصر الميمان,ص1619 , اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه , إبراهيم سعد النادي, ص101 .

([101]) فقه الأسرة : الشيخ فاضل الصفار,ص455 .

([102]) ينظر, منع الحمل وإجهاض النطفة : الشيخ احمد البهادلي, 46- 47 .

([103]) ينظر, منع الحمل وإجهاض النطفة : الشيخ احمد البهادلي, 46- 47 , وسائل المنع من الإنجاب دراسة فقهية : السيد محمد رضا السيستاني, 100-101, التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص185 وما بعدها ,فقه القضايا الطبية المعاصرة : علي محي القراداغي, ص446, قضية إجهاض جنين الإغتصاب وآثارها, توفيق خير الدين,ص265 وما بعدها .

([104]) سورة الممتحنة : 12 .

([105]) ينظر, الميزان في تفسير القران : الطباطبائي,ج19,ص 242, مجمع البيان في تفسير القران: الطبرسي,ج9, ص 275 .

([106]) ينظر, منع الحمل وإجهاض النطفة : الشيخ احمد البهادلي,ص58 .

([107]) وسائل المنع من الإنجاب دراسة فقهية : السيد محمد رضا السيستاني,ص107-108 .

([108]) سورة الإسراء : 31 .

([109]) سورة الأنعام : 140 .

([110]) وسائل الشيعة : الحر العاملي , ج19 , ص15.

([111]) وسائل الشيعة : الحر العاملي , ج19 , ص238 .

([112]) ينظر, الإنجاب بالوسائل الصناعية : السيد محمد رضا السيستاني, 268 -269 .

([113]) الشيخ أحمد البهادلي مرجع سابق, 61 , التلقيح الصناعي : سعيد كاظم العذاري ,ص 186.

([114]) صحيح مسلم : مسلم بن حجاج , ص 1220, حديث 2643 .

([115]) أثر الأمراض الوراثية على العلاقة الزوجية : منال محمد رمضان, ص121 .

([116]) البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص548 .

([117]) منال محمد رمضان : المصدر السابق, ص122 .

([118]) ينظر, تحديد جنس الجنين: هيلة اليابس, ص1705, حكم إختيار جنس الجنين قبل الحمل : زياد بن عبد المحسن العجيان, ص1806, البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا, ص449, أحكام الهندسة الوراثية : سعد بن عبد العزيز الشيوخ, ص209 .

([119]) سورة الشورى : 49 .

([120]) مجمع البيان في تفسير القران : الحسن بن الفضل الطبرسي, ج9, ص35 .

([121])ينظر, التحكم في جنس الجنين بين الحرمة والإباحة في الإسلام: د. عبد الهادي الحكيم,جريدة الشرق الأوسط, الاحد 23 ربيع الثانى 1422 هـ 15 يوليو 2001 العدد 8265 , تحديد جنس الجنين : ايوب سعيد العطيف .

([122]) سورة التكوير : 29 .

([123]) حكم اختيار جنس الجنين قبل الحمل في الفقه الإسلامي : زياد بن عبد المحسن العجيان, ص1811 .

([124]) سورة النساء: 119 .

([125]) ينظر, أحكام الهندسة الوراثية : سعد بن عبد العزيز الشيوخ, ص215 .

([126]) تحديد جنس الجنين: هيلة اليابس, ص1760 .

([127]) الميزان في تفسير القران : محمد حسين الطباطبائي , ج5, ص78 .

([128]) صحيح مسلم : مسلم بن حجاج, ص1221 , حديث رقم 2644 .

([129]) تحديد جنس الجنين : ايوب سعيد العطيف, ص1706 .

([130]) حكم تحديد جنس الجنين في الشريعة الإسلامية : د. ناصر الميمان, ص1645 .

([131]) ينظر, حكم إختيار جنس الجنين قبل الحمل : زياد بن عبد المحسن العجيان, ص1815 .

([132]) اختيار جنس الجنين : خالد الوذيناني, ص1683 .

([133]) ينظر, الموقع الرسمي لسماحة السيد السيستاني, فقه الطب السيد محمد صادق الصدر, ص124,السيد محمد تقي المدرسي : استفتاء موجه لسماحته,يحمل الرقم 3-384 في 19/ ذي القعدة 1440هـ ,السيد محمد سعيد الحكيم : في جنس الجنين بين الحرمة والإباحة في الإسلام: د. عبد الهادي الحكيم, الفقه ومسائل طبية : محمد آصف المحسني, ص109, تحديد جنس الجنين: هيلة اليابس, ص1753, اختيار جنس الجنين : خالد الوذيناني, 1677, تحديد جنس الجنين : أيوب سعيد العطيف, ص1703 .

([134]) سورة مريم : 5-6 .

([135]) مجمع البيان في تفسير القران : الحسن بن الفضل الطبرسي, ج6, ص502 .

([136]) تحديد جنس الجنين في الشرع الإسلامي : محمد حسين العابدي,مجلة كلية الدراسات الإنسانية , العدد السادس2016, ص429.

([137]) ينظر, اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه , إبراهيم سعد النادي, ص112.

([138]) مكارم الأخلاق : الحسن بن الفضل الطبرسي, ص215 .

([139]) سورة البقرة : 222 .

([140]) صحيح مسلم : مسلم بن حجاج , كتاب الحيض , ص154 , ح315 .

([141]) مائة قاعدة فقهية : السيد المصطفوي,مؤسسة النشر الإسلامي, الطبعة الثالثة, 1417, قم , ص296

([142]) اختيار جنس الجنين : خالد الوذيناني, 1678, حكم تحديد جنس الجنين: د. ناصر الميمان, ص1641 .

([143]) السيد المصطفوي: المرجع السابق, ص123 .

([144]) ينظر, أحكام الهندسة الوراثية : سعد بن عبد العزيز الشيوخ, ص225 .

([145]) ينظر, اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه , إبراهيم سعد النادي, ص114.

([146]) د. ناصر الميمان, المصدر السابق, ص1643 .

([147]) إبراهيم سعد النادي: المصدر السابق , ص114 .

([148]) تحديد جنس الجنين في الشرع الإسلامي : محمد حسين العابدي, 428 .

([149]) سورة البقرة: 185 .

([150]) سورة الحج : 78 .

([151]) سورة الأنعام : 119 .

([152]) وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي , ج5 , ص483 .

([153]) مائة قاعدة فقهية : السيد المصطفوي, ص243.

([154]) ينظر, مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق : أسامة عمر الأشقر,ص97.

([155]) ينظر, الفقه ومسائل طبية : محمد آصف المحسني, ص109 .

([156]) ينظر, اختيار جنس الجنين : خالد الوذيناني, 1678 .

([157]) ينظر, حكم تحديد جنس الجنين: د. ناصر الميمان, ص1648 .

([158]) ينظر, خالد الوذيناني, المصدر السابق, 1678 .

([159]) ينظر, حكم إختيار جنس الجنين قبل الحمل : زياد بن عبد المحسن العجيان, ص1823 .

([160]) ينظر, تحديد جنس الجنين: هيلة اليابس, ص1778 .

المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم .

1. أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية : منال رمضان، رسالة ماجستير في جامعة غزه – كلية الشريعة 429 هـ .

2. أثر المفهوم العلمي على التوسع القانوني للجنين: د.سلام عبد الزهرة الفتلاوي، والباحث مشتاق عبد الحي عبد الحسين،، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الثاني، المجلد التاسعة، 2017 .

3. أحكام اختيار جنس الجنين:محمد الفهيدي،رسالة ماجستير،جامعة الإمام محمد بن سعود،1430هـ،

4. أحكام الهندسة الوراثية : سعد بن عبد العزيز الشيوخ،الناشر: كنور اشبيليا، الرياض،1428هـ .

5. اختيار جنس الجنين : خالد بن زيد الوذيناني، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني،جامعة محمد بن سعود،1431هـ

6. اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، زياد الجبوري، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الأنبار.

7. اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه الإسلامية : د.محمد إبراهيم النادي،بحث منشور على شبكة الانترنت الموقع https://platform.almanhal.co

8. اختيار جنس المولود وتحديده قبل تخلقه بين الطب والفقه: عباس احمد الباز،بحث ضمن كتاب دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، الناشر:دار النفائس، 1421هـ،الطبعة الأولى، الأردن

9. الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية :عوادي زبير،رسالة ماجستير كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1437هـ

10. الإحكام الطبية : الشيخ فاضل اللنكراني، الناشر : حوزة فقه الأئمة الأطهار، دمشق، 1428 هـ .

11. البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية : إسماعيل غازي مرحبا، دار ابن الجوزي،1429 هـ

12. التحكم في جنس الجنين بين الحرمة والإباحة في الإسلام:عبد الهادي الحكيم،جريدة الشرق الأوسط 1422هـ،ع 8265

13. التخلص من الخلايا والأجنة التي بها تشوه وراثي:عبد الفتاح إدريس، بحث منشور مجلة البحوث الفقهية المعاصرة .

14. التلقيح الصناعي بين العلم والشريعة : سعيد كاظم العذاري،المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ط1، 1429 هـ .

15. الخلاف: الشيخ الطوسي،(ت-460هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1407هـ .

16. رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين عابدين(ت- 1252هـ)، دار الفكر بيروت، 1412هـ

17. الروضة البهية:زين الدين العاملي (الشهيد الثاني)(ت-966هـ)مؤسسة النشرالإسلامي قم،1412هـ

18. الفتاوى الجديدة : ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي A، قم، 1385هـ
19. الفتاوى المنتخبة : السيّد كاظم الحسينيّ الحائريّ K، الناشر: دار البشير، قم الطبعة الرابعة 1435هـ .
20. الفقه المعاصر : الشيخ حسن الجواهري، الناشر شركة العارف للأعمال، بيروت، الطبعة الأولى، 1434 هـ .
21. الفقه ومسائل طبية : محمد اصف المحسني، الناشر : مؤسسة بستان الكتب، قم إيران، 1426 هـ .
22. الفقه للمغتربين :السيد علي الحسيني السيستاني :عبد الهادي محمد تقي الحكيم،دار البذرة، الطبعة السادسة، 1438 هـ .
23. فقه الاستنساخ البشري: السيد محمد سعيد الحكيم، الناشر : دار الهلال .
24. قضية إجهاض جنين الاغتصاب : توفيق خير الدين،دار شتات، مصر، 2011 .
25. القضايا الطبية المعاصرة : علي القرداغي وعلي المحمدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ .
26. القواعد الشرعية في المسائل الطبية : وليد بن راشد السعيدان، بدون ناشر.
27. الكافي :الشيخ الكيني (ت- ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية،،الطبعة الرابعة، طهران، ١٣٦٥هـ .
28. تحديد جنس الجنين : أيوب العطيف، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني،جامعة الإمام محمد بن سعود،1431هـ
29. تحديد جنس الجنين : هيلة اليابس، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني، جامعة الإمام محمد بن سعود،1431هـ
30. تحديد جنس الجنين في الشرع الإسلامي : محمد حسين العابدي،مجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد السادس2016،
31. جامع المسائل الشرعية : السيد صادق الحسيني الشيرازي، الناشر : دار العلوم، الطبعة الثانية، لبنان، 1431 هـ .
32. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:محمد بن أحمد الدسوقي، دار الفكر الطبعة، بدون طبعة .
33. حكم تحديد جنس الجنين : د. ناصر الميمان، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: جامعة محمد بن سعود،1431هـ .
34. حكم اختيار جنس الجنين، زياد العجيان، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني،جامعة محمد بن سعود،1431هـ
35. رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين: خالد المصلح،بحث منشورعلى الموقع https://islamhouse.com .
36. صحيح مسلم : مسلم بن حجاج(ت- 261هـ) الناشر: دار طيبة،1427هـ .

37. طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي بين الطب والأديان: غسان جعفر،الناشر: دار رشاد برس،بيروت،1430هـ .
38. فقه الأسرة : الشيخ فاضل الصفار، مكتبة ابن فهد الحلي، الطبعة الأولى، لبنان .
39. فقه الأعذار الشرعية والمسائل الطبية : السيد أبي القاسم الخوئي، تعليقات وفتاوى الشيخ جواد التبريزي، الناشر دار الصديقة الشهيدة η إيران – قم،1427هـ .
40. فقه الطب : السيد محمد صادق الصدر، الناشر : دار البصائر، بيروت 1431هـ .
41. قاعدة لا ضرر ولا ضرار: السيد السيستاني، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ .
42. قرارات المجمع الفقه الإسلامي مع مقارنتها بآراء الشيعة الإمامة الإثنى عشرية : تعليق محمد كاظم الموسوي، الناشر: المركز العالمي للتقريب بين المذاهب،الطبعة الأولى، 1435 هـ .
43. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد التهانوي،(ت–بعد 1158هـ) مكتبة لبنان،1416هـ، ط1،
44. كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور البهوتي(1051هـ)، دار الفكر – بيروت، 1402هـ
45. كيف تتعرف على جنس الجنين بدون سونار:أنوار صافي، بحث على شبكة الانترنت https://mawdoo3.com
46. لسان العرب : جمال الدين ابن منظور (ت– 711هـ)، دار صادر، بيروت،1414هـ،
47. مائة قاعدة فقهية : السيد المصطفوي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثالثة، قم، ١٤١٧هـ .
48. مجلة قرارات مجمع الفقه الإسلامي/ الدورة الثالثة،الأردن 1407هـ .
49. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي: دار المرتضى بيروت الطبعة الأولى 1427
50. مختار الصحاح : زين الدين الرازي،تحقيق، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية،بيروت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ
51. مستجدات فقهيه في قضايا الزواج والطلاق : أسامة الأشقر، دار النفائس للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1426هـ .
52. معجم ألفاظ الفقه الجعفري : أحمد فتح الله،الطبعة الأولى، إيران، 1415هـ
53. مقاييس اللغة : احمد بن فارس،(ت–395هـ) تحقيق: عبد السلام هارون،مكتبة الفكر، 1399هـ،
54. منع الحمل وإجهاض النطفة : الشيخ احمد البهادلي، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، 1422هـ .
55. منهاج الصالحين : السيد السيستانيK / دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة العشرون،1440هـ .
56. المبسوط : محمد بن احمد السرخسي (ت –483هـ)، دار المعرفة بيروت، 1414هـ،
57. المبسوط في فقه المسائل المعاصرة : محمد بن محمد الحسين القائيني، مركز فقه الأئمة الأطهار، ط1،إيران، 1424 هـ
58. المدونة الكبرى :مالك بن أنس،(ت– 179هـ) دار الكتب العلمية، لبنان طبعة: الأولى، 1415هـ
59. المقنعة : الشيخ المفيد(ت–413هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم 1410هـ،

60. الموسوعة الميسرة في فقه القضايا الطبية المعاصرة:مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة،الناشر:جامعة محمد بن سعود،الرياض،الطبعة الأولى،1436هـ

61. الموسوعة الطبية الفقهية:أحمد محمد كنعان، دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى1420هـ

62. الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الثانية، بيروت، 1393هـ .

63. منهاج الصالحين : الشيخ بشير النجفي، مؤسسة الأنوار النجفية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 1435هـ .

64. مكارم الأخلاق الحسن بن الفضل الطبرسي تحقيق: حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، ط2 بيروت، 1422هـ .

65. ، ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية، الكويت 1407 هـ، الناشر : المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية .

66. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج :محمد الرملي،(ت-1004هـ) دار الكتب العلمية 1424هـ

67. وسائل المنع من الإنجاب : السيد محمد رضا السيستاني، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1433هـ.

68. وسائل الإنجاب الصناعية دراسة فقهيه : السيد محمد رضا السيستاني: دار المؤرخ العربي، ط2 بيروت، 1428 هـ .

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم، 1414 هـ.

المقاصد النصية في سورة الدخان

أ. د مؤيد جاسم محمد

كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية

م.م زاهد حميد عبيد

مديرية تربية النجف

مقاصد – مفاهيم – الشريعة – منهجية – الدخان – يفهم

الملخص :

كانت النصوص القرآنية على على وفق منهجية المقاصد شيئا يكاد يكون جديدا، إذ يعطيه قالباً جديداً ويكون أكثر وضوحا . فكان الهدف من بيان مقاصد سورة الدخان، أموراً عدة من أهمها بيان الحكمة الالهية من النص القرآني، وبيان مقاصد الله عز وجل من كل آية من آياته، إذ نجد التنوع والانتقال من مقصد إلى مقصد وعدم غياب التنسيق والتدرج . وأقدم العذر عن أي خطأ أوزلل فيما سجلته، وأسأل الله التوفيق والتسديد، إنَّه نعم المولى ونعم النصير .

المقدمة :

يعدُّ مفهوم المقاصد من أقل المفاهيم التي اهتمت بها الشريعة وعلماؤها، حتى أصبحت أمراً مهما لبيان المقاصد الالهية من الأحكام الشرعية. وبعد ظهور النظرية النصيَّة، أهتمت بالكثير من الامور التي تناولتها لتحقيق الاهداف التي ترجوها هذه النظرية، وكان من تلك الموارد هي المقاصد، التي جعلت الاساس التي تعتمد عليه في تحليل النص وبيان الأهداف الحقيقية من ورائه.

التمهيد :

وقفة بين يدي السورة

احتوت سورة الدخان على تسع وخمسين آية، استهلت ببيان عظمة القرآن ووقت نزوله وختمت بتيسيره والتذكير به. وموضوعات سورة الدخان كسائر موضوعات السور المكية وسور الحواميم السبَّع وهي (غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الجاثية – الاحقاف – الدخان) تدور معانيها على بيان أصول العقيدة الإسلامية، والتوحيد والنبوة، والرسالة، والبعث، والإخبار عن المغيبات، وذكر قصص الأمم السابقة، وآيات الله الكونية، وذكر الجنة والنار، فصلاً عن حديثها عن الماضي والحاضر، والموت والحياة والسماء والارض والدنيا والآخرة، واختصت بذكر العذاب بالدخان من بين سور القرآن، وبعض الأيام التي تبين أنَّها مباركة، وفيها تقدر الأرزاق وأنَّ للحواميم طابعاً خاصاً، اشتركت فيه، وتميزت سورة الدخان عن غيرها بقصر آياتها، وإنَّ هذه السورة مع قصرها بدأت بالقرآن[1] .

وسبب تسميتها بسورة الدخان " وقوع لفظ الدخان فيها، والمراد به آية من آيات الله أيَّد بها نبيه (صلى الله عليه وآله)، فسميت اهتماما بشأنه[2] . وقال الصابوني سميت الدخان؛ لان الله تعالى جعله آية لتخويف الكفار حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم للرسول (صلى الله عليه واله) وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون، ثم نجاهم الله بعد ذلك ببركة دعاء النبي (صلى الله عليه واله)[3].

أمَّا سبب نزولها، عن ابن مسعود، قال : " إنَّ قريشا لما استعصت على النبي (صلى الله عليه واله) دعا النبي (صلى الله عليه واله) عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان، فأنزل الله { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [سورة الدخان : 10]، فأتى رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال : يا رسول الله (صلى الله عليه واله) استسق لمضر، فإنَّها هلكت، فاستسقى فسقوا فنزلت { إِنَّا كَاشِفُواْلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ }[سورة الدخان : 15] فلما اصابهم الرفاهية عادوا إلى أصلهم، فأنزل الله {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ }" [سورة الدخان : 16][4].

وعن عكرمة قال : " لقى النبي (صلى الله عليه واله) أبا جهل، فقال: أبوجهل، لقد علمت انَّي امنع اصل البطحاء، وانا العزيز الحكيم، قال : فقتله الله يوم بدر وأذلَّه وغيره بكلمة، ونزل قوله تعالى { ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }" [سورة الدخان: 49][5].

وقيل من أشراط الساعة، " تدخل في مسامع الكفار والمنافقين ولم يأتِ بعد، وانه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم حتى إنَّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ فيه، ويصيب المؤمن منه" [6].

والملاحظ من خلال تبيان سبب نزول السورة وجود تضارب في الأقوال، منها ما نسب نزولها إلى زمن مضى من خلال ذكر حادثة الرسول (صلى الله عليه واله) مع قريش ورؤيته الدخان، ومنهم من قال إنَّ الانذار والهلاك بالدخان لم يتحقق بعد، وانَّه من أشراط الساعة التي لا يعلمها إلاَّ الله تعالى، وبذلك وحسب هذا الرأي فان السورة ببعض آياتها تعدُّ فيها من الغيبيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم . وكذا وقع الاختلاف في تفسير آياتها من حيث اختلاف الآراء فيها . فاختلفوا في كون بعض آياتها مكية وبعضها مدنية . فعدَّها ناصر مكارم الشيرازي مكية عدد آياتها تسع وخمسون آية وهي خامس الحواميم السبعة وهي من السور المكية[7]. وقال الطوسي" وهي مكية في قول قتادة، وهي تسع وخمسون اية في الكوفي وسبع في البصري، وست في المدني

والشامي"[8]. وخالفه في ذلك الصافي بقوله " مكية عدد آياتها تسع وخمسون اية كوفي سبع بصري، تسع في الباقين"[9]. وقال البقاعي الشافعي " مكية كلها اجماعا، قال ابن الجوزي والزمخشري وابو حيان، إلاَّ قوله تعالى {إِنَّا كَاشِفُواالْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}[سورة الدخان : 15] وآياتها تسع وخمسون في الكوفي، وسبع في البصري، فيما عداها واختلافها اربع آيات { حم} [سورة الدخان : 1] عدَّها الكوفيون ولم يعدَّها البصريون، وقوله { إِنَّ هَؤُلَاء لَيَقُولُونَ } [سورة الدخان : 34] عدَّها الكوفيون ولم يعدها الباقون، وقوله تعالى { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ } [سورة الدخان : 43] لم يعدَّها المدني والمكي، وعدها الباقون، وقوله تعالى { كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ } [سورة الدخان: 45]، ولم يعدَّها المدني والمكي والشامي وعدها الباقون[10] .

أمَّا صلة السورة بما قبلها وتناسبها لما بعدها فقد نزلت بعد (الزخرف) ومناسبتها لما قبلها من وجوه[11] :

1- أنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بالإنذار الشديد .

2- انه تعالى حكى فيما قبلها قول الرسول (صلى الله عليه واله) يا رب إنَّ هؤلاء قوم لا يؤمنون، وحكى هنا عن أخيه موسى، فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون .

3- انه قال فيما سلف { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[الزخرف : 89]، وحكى هنا عن موسى { وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ، وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ [الدخان :20- 21] وهو قريب من ذلك.

4- – تشابه خاتمة السّورة المتقدّمة ومطلع هذه السّورة، حيث ختمت سورة الزّخرف بالتّهديد والوعيد في قوله تعالى : { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ }[سورة الدخان 83] فذكر يوما غير معيّن ولا موصوفا، ثم أبان وصفه في سورة الدّخان في القسم الأول منها حيث أنذر تعالى المشركين في قوله { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ }[الدخان : 59][12].

أمّا علاقة سورة الدخان بالسورة التي بعدها، وهي سورة الجاثية، فالذي نلاحظه ما يأتي :

1- في خاتمة الدخان قال {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ }[الدخان : 59] ذُكرُ للكتاب، وفي سورة الجاثية قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[الجاثية : 2] الكلام عن الكتاب أيضا.

2- قال في الدخان { لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، وذكر في أول الجاثية ما يدعو إلى التذكّر {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ }[الجاثية : 3]، {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[الجاثية : 20]، {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[الجاثية : 5]، بيّن وذكر أموراً تدعوإلى التذكّر .

" قال أبو جعفر عليه السلام من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله مع الآمنين يوم القيامة وظلله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه" (13) .

وبالإسناد عن ابن البطائني، عن عاصم الخياط، عن أبي حمزة، قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) (من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الأمنين يوم القيامة، وأظله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه[14] .

وحين نتحدث عن فضل سورة الدخان، فوردت روايات عدة في فضلها منها ما رواه الصدوق في كتابه قال " قال أبوجعفر عليه السلام من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله مع الآمنين يوم القيامة وظلله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا وأعطاه كتابه بيمينه. (15) .

وأمّا مدلول لفظة المقاصد النصيّة فقد تناوله صاحب كتاب المصباح المنير بقوله " أصلها من الفعل – ق – ص –د –، يقصد قصدا، والمقصِد من قصد، قصدته ... وهو مصدر ميمي واسم المكان منه، وهو على وزن مَفعِل "[16]، أما في الاصطلاح فنجد ان ابن عاشور ذكر ذلك في كتابه بقوله هي " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع احوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها"[17] .

ومصطلح النص من مصطلحات اللغة، وقصد بمعناه اللغوي " النص : رفع الشيء، نص الحديث ينص نصاً، وكل ما أظهر فقد نص، ونصت الطبيعة جيدها: رفعته، ووضع على المنصة، أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لتُرى، ونصصت المتاع إذا حملت بعضه على بعض، وأصل النص أقصى الشيء وغايته[18] .

وبذلك فهذا العلم هو فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة النصوص سواء كانت منصوصة أو مكتوبة، بطريقة تتنظم معها اجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن ما هو مفيد[19]

(تطبيقات على سورة الدخان)

يمكن أن تكون تطبيقاتنا على سورة الدخان في مقاصدها النصيَّة، التي أرادها الله تعالى في محكم الآيات التي تضمنتها السورة على على وفق مقاصد أربعة :

المقصد الأول : ويمكن الحديث في هذا المقصد حول بداية السورة القرآنية، حيث بدأت السورة بالحروف المقطعة، ومن ثم كانت بداية السورة ونهايتها قد تناولت بيان عظمة القرآن مع بيان نزوله في ليلة القدر أول مرة[20]، وقد كانت حصيلة هذا المقصد ثمانية آيات، وهي على النحو الاتي :

{ حم }[الدخان : 1]،وقوله { وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}[1] الدخان :2]، وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}[الدخان : 3] وقوله {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[الدخان :4] وقوله {أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}[الدحان :5] وقوله{رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الدخان : 6] وقوله {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان : 58]، وقوله {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان : 16] .

نلاحظ أنَّ السورة بدأت في حروف مقطعة وهي (حم)، وقد بحث العلماء في الحروف المقطعة ولكن لم يصلوا إلى نتيجة حتمية فيها، بل كانت مجرد طروحات لهم في ذلك، وكانت أقوى الوجوه أنها اسم للسورة[21].

وفي المعاني، بإسناده عن جويرية عن سفيان الثوري قال : قلت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): يا ابن رسول الله ما معنى قول الله عز وجل : (الم، والمص، والر، والمر، وكهيعص، وطه، وطس، وطسم، ويس، وص، وحم، و حمعسق، ون ؟ قال (عليه السلام)، وأما حم فمعناه الحميد المجيد [22] .

وما روي عن ابن مسعود قول رسول الله (صلى الله عليه واله) (إنَّ الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر)[23] . وقد جمعها ابن كثير قائلا (مجموع الحروف المذكورة في اوائل السور بحذف المكرر منها اربعة عشر حرفا يجمعها قولك (نص رحيم قاطع له سرٌّ)[24] .

(والكتاب الحكيم)، بدأت الآية بالقسم، (ذلك الكتاب الواضح محتواه، البين معارفه، الحيّ تعليماته، البناءة احكامه، الدقيقة برامجه وخططه)[25] .

ولابد ان يكون للقسم بالقرآن مقصد اراده الله تعالى منه، ونلاحظ أن الله تعالى وضح مقصودة من القسم في الآية التي بعدها بقوله تعالى { انا انزلناه في ليلة مباركة }، "والمبارك من مادة بَرَكة، وهو الربح والمنفعة

والخلود والدوام، وهو بيان عظمة القرآن بإنزاله في ليلة مباركة، ليلة ليست ككل الليالي، بل ليلة متميزة وقد حصرها المفسرون بليلة القدر، لقد فسرها أغلب المفسرين بليلة القدر، تلك الليلة العظيمة التي فيها مقدرات البشر بنزول القرآن الكريم، تلك الليلة التي تقدر فيها مصائر الخلائق، وظاهر الآية هو أن القرآن كله قد نزل في ليلة مباركة، وأعظم الليالي بركة، كشفت فيها بحقائق الأشياء"[26] .

والمقاصد ترتيبية، حيث بدأ الله تعالى بالقسم، وجعل القسم مقصود، وقد أشار إلى نزول القرآن في ليلة مباركة، وقد ذكر لنزول القرآن في هذه الليلة قصد معين، وهو الانذار للعباد في قوله تعالى { انا كنَّا منذرين] . لان سُنة الله سبحانه الدائمة هي ارسال الرسل لإنذار الظالمين والمشركين، " وكان إرساله نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الكتاب المبين افخر حلقة من هذه السلسلة المقدسة، وهو تأكيد جواب القسم وإظهاره مظهر العظمة"[27] .

ورغم أنّ مقصد الله تعالى قد بينه من نزول القرآن، لكنه لإتمام مقصده أخذ يوضح تلك الليلة بوصفها، فالآية { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، " وصف وتوضيح ليلة القدر والتعبير بـ (يفرق) إشارة إلى كل الامور والمسائل المصيرية تقدر في تلك الليلة، والتعبير (بالحكيم) بيان لاستحكام هذا التقدير وعدم تغيره وكونه حكماً"[28]. وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، يقول : " يُنزَّل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى انه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت "[29]، " فحصل وصف الكتاب بخصائصه والتعريف بغرضه وإنزاله الى السماء"[30] .

وقال الطباطبائي في تفسيره " وقد عبَّر هذا المقصد بأنه تعبير عن مرحلتين، مرحلة الإجمال والابهام، والتي عبر عنها باللفظ (الحكيم)، ومرحلة التفضيل والكثرة والتي عبر عنها بـ (يفرق)" [31].

وقوله تعالى { أمرا من عندنا } هواستمرار تأكيد للمقصد الاساسي للنزول، وبيان السبب في ذلك، ليؤكد الله تعالى ذلك الشيء منزل منه لقصد معين . ففي قوله { أمرا من عندنا }، "حتى يبين أنَّ الارسال منه لقصد معين، لأجل بيان العلة الاساس لنزول القرآن وإرسال النبي (صلى الله عليه واله) وتحديد المقدرات في ليلة القدر، فبين تلك العلَّة والقصد في قوله تعالى { رحمة من ربك } وتلك الرحمة لاتحدُّ، توجب أن لا يترك العباد وشأنهم بل يجب أن ترسل إليهم التعليمات اللازمة لترشدهم في سيرهم إلى الله، عبر ذلك السير التكاملي المليء بالالتواءات والتوجهات "[32] .

الآيتان الاخيرتان في السورة التي كانت قد وضعت من ضمن المقصد الأول، الذي يتحدث عن القرآن الكريم وعظمته، فتتحدث الآيتان عن تيسير القرآن كما مبين في قوله تعالى { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الدخان : 58]، وقوله تعالى { فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ }[الدخان : 59] .

{ فانَّما يسرناه بلسانك ... } كانت الآيتان ختاماً للسورة، التي بينت الانسجام من خلال بداية السورة مع نهايتها، وما هو مبيَّن أيضا في البداية والنهاية، هو التأكيد على مواعظ القرآن ونصحه، وقوله تعالى { فانَّما يسرناه بلسانك }، فمازال الكلام عن القرآن الكريم وعظمة الله، وكيف أنَّه يغلق الحجج على من يريد أن يقدمها، فاتاهم بالقرآن بلسانهم حتى يفهم عندهم، فان محتواه عميق جدا وأبعاده مترامية لكنه بسيط واضح، يفهمه الجميع، وتقتبس من انواره كل الطبقات[33] . حتى اردفت هذه الآية بأية اخرى بعدها مباشرة بيَّن الله فيها أنَّ عدم الإذعان لمقصده في فهم وتناول القرآن، هو وعد بانتظار الهزيمة والخسران . وقد اكد مقصد الله تعالى بقوله الثقل الثاني المعادل للقرآن، وهم العترة المعصومون، وهم يؤكدون ذلك، وهذا ما أشار اليه الإمام الصادق (عليه السلام) " لو لا تيسيره لما قدر أحد من خلقه أن يتلفظ بحرف من القرآن، وانى لهم ذلك، وهو كلام من لم يزل ولا يزال "[34].

المقصّد الثاني : (المقاصد العقائدية)

مقاصد الآيَّات هي التوحيد ووحدانية الله سبحانه وبيان بعض مظاهر عظمته في عالم الوجود وارتباط الموت بالمعاد وتشمل أحدى عشرة آية من آيات سورة الدخان[35]، وهي قوله تعالى {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ }[الدخان :7]وقوله { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَيُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}[الدخان :8]، وقوله {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ } [الدخان : 31]، وقوله {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ }[الدخان : 32]، وقوله {فَأْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الدخان :33]، وقوله {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}[الدخان 34]، وقوله {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الدخان: 39] وقوله {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}[الدخان : 40]، وقوله {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } [الدخان : 41]، وقوله { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان : 42]

يذكر الله تعالى هنا مقاصد تتعلق ببيان الأمور العقدية، بدأها بذكر صفاته تعالى (وبيان انَّه واحد، وكل ذلك لبيان مقصد التوحيد، فذكر في الآيات صفاته وهي، رب السموات والارض، يحي ويميت، رب ابائكم)[36] .

لانَّ كثيراً مِنْ المشركين يعتقدون بوجود آلهة وأرباب عديدين، وكانوا يظنون أن كل موجود من الموجودات إله، لكنَّ اللهَ تعالى حدَّد مقصودة بقوله { ربكم } ليبين أن رب النبي محمد (صلى الله عليه واله) غير رب الموجودات الاخرى، وهي إبطال لكل الأوهام بالجملة[37] .

وبين بعد ذلك، اي بعد القاء الحجة عليهم بصفاته وانه رب للسموات والارض وما بينهما، بقوله {إن كنتم موقنين }[38] أي ان كنتم ممن يطلب اليقين، والملاحظ وجود الجملة الشرطيّة في الآية الكريمة، التي تبعث على التساؤل، ولعل المراد من ذلك التساؤل أمران :

أولهما : إذا كنتم طلاب يقين، فان السبيل إلى ذلك هو أن تفكروا في ربوبية الله المطلقة .

والثاني : إذا كنتم من أهل اليقين فان أفضل مورد لتحصيل هذا اليقين هو أن تتفكروا في آثار رحمة الله .

وهوتأكيد على إنَّ حياتهم ومماتهم بيده، حيث يردف هذا المعنى بقوله تعالى { لا اله الا هو} فلا اله غيره يقوم مقام الربوبية ولا يكون أهلاً لها . فتعدُّ الآية جواباً لهم في حالة قولهم إنَّهم يعبدون الأصنام ويبررون عبادتهم لها بآبائهم، فعلاقتكم بآبائكم توحي عليهم أن لا يعبدوا إلا الله[39].

والذي نلاحظه أن مراد الله ومقصوده في بيان الصفات الالهية وبيان قضية الحياة والموت لأنَّها مهمة جدا بالنسبة للعباد، فلها أهمية فائقة من جهة، ولأنَّها إشارة ضمنيَّة إلى مسألة العبادة، وقد بيَّن الله عز وجل أنَّها من الافعال المختصة بالله تعالى؛ لأن مسألة الحياة والموت أكثر المسائل تأثيرا في حياة البشر ومصالحهم، وانَّها اعقد مسائل عالم الوجود واوضح دليل على قدرة الله تعالى[40] .

وتعدُّ الآيَّات السابقة تمهيد للدخول في مطلب مهم اراده الله تعالى من هذه الآيات، الاَ وهو مسالة الحياة والموت والنشأة الاخرى، وتعد الآيتان {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} [الدخان : 35]، وقوله تعالى {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الدخان : 36]، تكميلية لحالة جسدية للايات السابقة، التي لابد للفرد أن يؤمن بها فأشار إليهم بقوله إنَّ هؤلاء ليقولون إنْ هي الا موتتنا الاولى، وسوف لا نعود الى الحياة اطلاقا، وما يقوله محمد (صلى الله عليه واله) عن المعاد والحياة بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار لا حقيقة له، فلا حشر ولا نشر ابدا[41].

ووقع الاختلاف بين المفسرين في مقصود الله تعالى من رجوع الضمير (هي)، هل يعود إلى الموتة أم يعود إلى العاقبة والنهاية ؟ وأرجعوه إلى أحد معنيين :

أحدهما : فمنهم من أرجعه إلى الموتة، وهو المستفاد من الكلام، وبناء على هذا يكون المعنى، ما الموتة الا موتتنا الاولى[42] .

والآخر : المختص برجوع الضمير إلى العاقبة والنهاية، وبهذا يكون المعنى (ما عاقبة امرنا الا الموتة الاولى)[43] .

وهذا الأمر مبني على جانب عقدي، فإنَّ المشركين يشيرون إلى الموتة الأولى لا غيرها وإنَّ مرادهم هو نفي الحياة بعد الموت، لا انكار الموت الثاني، وبتعبير اخر فإنَّ الانبياء كانوا يخبرون بالحياة بعد الموت، لا بالموت مرة ثانية[44] .

ولعل الاعتقاد عند المشركين مختلف بين فئة وأخرى، فبعضهم لم يكن يعترف بالله وبالمعاد وهو الذي يتحدث عنهم القرآن بانهم كانوا يقولون {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }[سورة الجاثية : 24]، وبعضهم يعتقد بالله عز وجل ويعتقد ايضا ان الاصنام شفعاؤهم عند الله الا انَّهم كانوا ينكرون المعاد ويؤكده قوله تعالى {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [سورة يس : 78][45].

وهم يفرقون ببقاء الروح بشكل ما سواء على هيئة التناسخ وانتقال الارواح الى ابدان جديدة أم بشكل اخر، ولعلَّ الامور ذهبت اكثر من ذلك، من خلال الاعتقاد بأشياء هي التي تسيَّر معتقداتهم (فكانوا يعتقدون بطير اسمه (هامة) انبسط في جسمه وعندما يرحل الانسان عن هذه الدنيا او يقتل يخرج هذا الطائر من جسمه ويمر على جسده بصورة مرعبة، وان هذا الطائر يكون صغير في البداية ثم يكبر حتى يصبح بحجم البوم وهو يعيش دائما في خوف واضطراب[46].

لذلك فانَّ مقصد الله تعالى هو التركيز على أمور مهمة في حياة الانسان، ومنها الاعتقادات الخاوية الفارغة من محتواها العقلي والعلمي، لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه واله) (لاهامة)[47] .

في الآيات التالية يركز الله تعالى على مقصد المعاد، وهذه الآيات هي قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}[الدخان : 38]' وقوله تعالى {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[الدخان : 39]، وقوله تعالى {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } [الدخان : 40]، وقوله تعالى { يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ }[الدخان : 41] وقوله تعالى {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }[الدخان : 42].

وهذه القضية مصيرية في حياة الإنسان، فيكررها تعالى، فلا بد من التصديق بالموت وإن كان الموت يزعجكم، لأنه ليس من الحكمة ولا العقل أن يخلق هذا الكون بدون هدف يسعى إليه خالق الكون[48] .

واستعمل الله في الآية لفظ (لاعبين)، ولفظ (لاعب) هي من مادة لعب، لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به قصدا صحيحا والتثنية (ما بينهما) من أجل أن المراد السماء والارض[49] . ولابد من التفكر في ذلك، وقد ذكر الله هذه الحقيقة مرارا في سور مختلفة كقوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ [سورة الأنبياء : 16] وقوله تعالى { قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} [الأنبياء : 55] .

فهنالك غاية من الخلق وهناك عالمُ آخر يتبعه، وما يؤكد ذلك قوله تعالى {هو الذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[سورة يونس : 5] . إنَّ كون الخلق حقا يوجب له هدفاً عقلانياً وهذا الهدف لا يتحقق الا بوجود عالم آخر، فضلاً عن كونه حقا لا يتساوى اصحاب الاحسان والاساءة، فلابد من وجود عالم يتلقى فيه كل إنسان جزاء عمله خيرا أم شرا، وبيان الحق هوإشارة إلى الهدفية في الخلق واختبار البشر، وقانون التكامل وكذلك تنفيذ اصول العدالة .

وتستمر الآيات في تكاملها ليتضح المقصد منها الذي ابتغاه وخطط له الله تعالى، فيذكر أنَّ لنهاية الخلق وقفة أطلق عليها تسميات عدّة، وما اختاره في الآية هو يوم الفصل، في قوله تعالى { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ }[50] . وهو(بيان لصفة اليوم الذي يثبته البرهان السابق وهو يوم القيامة، الذي فيه يقوم الناس جميعا لرب العالمين، وسماه يوم الفصل لأنَّه يفصل فيه بين الحق والباطل، وبين المحق والمبطل والمتقين والمجرمين، أو لأنَّه يوم القضاء الفصل منه تعالى[51] . فهو ميقات الجميع، وموعد للأقوام الماضية التي سفكت وقتلت، وعاثت في الارض فساداً . وفي هذا اليوم لا ينفع الناس إلا أعمالهم، ويؤكد ذلك في قوله تعالى {وْيومَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } وهوبيان ليوم الفصل، والمولى هو الصاحب الذي له أن يتصرف في أمره والمولى الاول والثاني في الآية هوالثاني، والآية تنفي اغناء مولى عن مولاه يومئذ وترى انَّهم لا ينصرون، وإنَّ الاغناء فيما استغل المغني في عمله ولا يكون لمن يغني عنه صنع في ذلك، والنصرة انما تكون فيما كان للمنصور يعطي اسباب الظفر الناقصة، ويتم له ذلك بنصرة الناصر، والأصل في انتفاء الاغناء والنصر يومئذ أن الاسباب المؤثرة في نشأة الحياة الدنيا تسقط يوم القيامة، وقوله تعالى { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } استثناء من ضمير (إلا ينصرون) والآية من أدلة الشفاعة يومئذ، هذا على تقدير وجود ضمير (لا ينصرون) إلى الناس جميعا على ما هوالظاهر، وامَّا رجوع الى الكفار كما قيل فالاستثناء منقطع والمعنى راجع إلى رحمة الله، وهم المتقون فانهم في غنى عن مولى يغني عنهم وناصر ينصرهم[52].

المقصد الثالث : (مقاصد الترغيب ومقاصد الترهيب) :

وفي هذا المقصد يبيَّن الله تعالى أمرين :

الأول : يصف ما أعدّ للمؤمنين في الآخرة، نتيجة لأعمالهم وطاعتهم في الدنيا .

والثاني : العقوبات الإلهية التي أعدها للكافرين وغير المطيعين له في الدنيا .

وكلا الأمرين يبين الله تعالى حالة الثواب والعقاب المعدة، إمَّا لغرض الترهيب والترغيب للعباد وإمَّا لغرض الاستحقاق الذي أعده للعباد، وقد بدأ خطابه بالكافرين، الذين أنكروا وجود الله في الدنيا وأذوا الانبياء، وكانت الآيات التي خاطبهم بها ثماني آياتٍ، وهي {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ }[الدخان : 43] {طَعَامُ الْأَثِيمِ}[الدخان : 44]، {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}[الدخان : 45]، {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} [الدخان : 46]، {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الدخان : 47]، { ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} [الدخان :48]، {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[الدخان : 49]، {إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ}[الدخان : 50] [53].

وتصف الآيات أنواعاً من عذاب الجحيم وصفا مرعبا، يبدأها بقوله تعالى { ان شجرة الزقوم طعام الاثيم}، فهويختار في مقصده لفظاً يناسب الشدَّة والقوة معهم، ولهم معرفة بها، لكي يطعمهم نبتة (الزقوم)، ذلك النبات المرُّ والقاتل والخبيث الذي له رائحة نتنة، وقد قال المفسرون عن تلك اللفظة (الزقوم)، إنَّا شجرةُ لها اوراق صغيرة وثمرها مرٌّ، خشنة اللمس منتنة الرائحة، نبتت في ارض تهامة من جزيرة العرب، كان المشركون يعرفونها، واذا اصابت البدن تورم' ويعتقد بعضهم أنَّ الزقوم في الأصل يعني(الابتلاع)[54] . ويقول الراغب :" إنَّها كل طعام خبيث في النار"[55] .

وجاء في الحديث " أنَّ الكلمة لمَّا نزلت في القرآن قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة، فايَّكم يعرف معنى الزقوم ؟ وكان هناك رجل من افريقية قال : هي عندنا التمر والزبد، وربما قال ذلك استهزاء، فلما سمع ابو جهل ذلك قال مستهزءاً : يا جارية زقمينا ؟ فأتته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه، تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد(صلى الله عليه واله)"[56] .

"وينبغي الالتفات ان الشجرة تأتي في لغة العرب والاستعمالات القرآنية بمعنى الشجرة احيانا وبمعنى مطلق النبات احيانا، والاثيم من مادة أثم، وهو المقيم على الذنب، والمراد هنا الكفار المعاندون المعتدون، المصرون على الذنوب والمعاصي المكثرون منها "[57] .

ويستمر الوصف للجحيم الذي أعدَّه الله تعالى، فيقول تعالى { كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم}، " أي وصف هذا الطعام، الذي يشبه درئ الزيت الاسود، يغلي في بطون الكفار ويكون كالماء الحار إذا اشتد غليانه" [58] . " وقرأ يغلي بالياء ابن عامر وحفص عن عاصم، والباقون بالتاء، من قرأ بالياء ردوه الى المهل، ومن قرأ بالتاء رده الى الشجرة، قال ابوعلي من قرأ بالياء حمله على الطعام، لان الطعام هو الشجرة في المعنى الاَ ترى انَّه خبر الشجرة، والخبر هو المبتدأ بعينه إذا كان مفردا في المعنى . ولا يحمل على المهل لانَّ المهل انما ذكر يشبه به المذاق، لان التقدير ان الشجرة الزقوم طعام الاثيم تغلي في البطون كما المهل على الجسوم"[59] ." والحميم هوالماء الحار المغلي، وتطلق احيانا على الصديق الوثيق العلاقة والصداقة والمراد هنا ه والمعنى الاول، وعلى اي حال فعندما يدخل الزقوم بطون هؤلاء فانَّه يولد حرارة عالية لا تطاق، ويغلي كما يغلي الماء، وبدل ان يمنحهم هذا الغذاء القوة والطاقة فانه يهبهم الشقاء والعذاب والمشقة"[60] .

وبعد الوصف الذي وصفه الله تعالى في الآيات الكريمة السابقة، يبدأ بتنفيذ ما قاله، من خلال خطابه لخزنة النار بقوله تعالى { خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الدخان : 47]، وقوله {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}[الدخان : 48]، (فَاعْتِلُوهُ من مادة (العَتْل) وهي الاخذ والسحب والالقاء، وسواء : بمعنى الوسط، لان المسافة الى جميع الاطراف متساوية، واخذ امثال هؤلاء الاشخاص والقاؤهم في وسط جهنم باعتبار ان الحرارة اقوى ما تكون في الوسط، والنار تحيط بهم من كل جانب، ثم تشير الآية الى نوع اخر من العذاب الاليم الذي يناله هؤلاء فيقول، ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم، وهو من قبيل الاضافة البيانية، الى ان هذا الماء المحرق عذاب يصب على هؤلاء، وبهذا فانِّهم يحترقون من الداخل وتحيط بهم النار بكل وجودهم واضافة إلى ذلك يصب على رؤوسهم الماء المغلي في وسط الجحيم، وبعد كل انواع العذاب الجسمي هذا تبدأ العقوبات الروحية والنفسية، فيقال لهذا المجرم المتمرد العاصي الكافر { ذق انك انت العزيز الحكيم)} فانت الذي كنت قد قيدت البؤساء فباتوا بقبضتك تظلمهم كيف شئت وتعذبهم حيثما تشتهي، وكنت تظن انك قوي لا تقهر وعزيز لا يمكن أن تهان[61] . وجاء الحديث عن النبي (صلى الله عليه واله) (اخذ يوما بيد ابي جهل وقال : ((اولى لك فأولى)) فغضب ابوجهل وجرَّ يده وقال، بايِّ شيء تهددني، ما تستطيع انت وصاحبك ان تفعلا بي شيئا)، "والآية ناظرة الى هذا المعنى وتقول عندما يلقونه في جهنم يقولون له، ذق يا عزيز مكة وكريمها)[62] .

ثم ينتقل بنا المشهد إلى نوع آخر، ولكن ليس للعذاب الذي أعدَّه الله تعالى للكافرين . بل إلى مشهد جميل جداً أعدَّه الله تعالى للمؤمنين، جَسَّده في سبع آيات بينات، وهي {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ }[الدخان :51]، {فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }[الدخان : 52]، {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ}[الدخان : 53]، {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ